تدريب على تحليل النصّ الأدبيّ

مناسبة النصّ : قال المتنبّي سنة 342 للهجرة ، يمدح سيف الدولة و يهنؤه بعيد الأضحى و يذكر معركة انتصر فيها على الروم و أسر قسطنطين ابن" الدمستق" أي كبير قوّاد البيزنطيين , و أنشده إيّاها في ميدان حلب و هما على فرسيهما : و هي على البحر الطويل , و واحدة من غرر مدحياته فيه :

لكلّ امرئٍ من دهرِهِ ما تعوّدَا ... و عاداتُ سيفِ الدولةِ الطّعنُ في العِدَا

وَأنْ يُكْذِبَ **الإرجافَ** عَنْهُ بضدّهِ ... وَ يُمسي بما تَنْوي أعاديهِ أسْعَدَا

وَ رُبَّ مُرِيدٍ ضَرَّهُ ضرَّ نَفسَهُ ... وَ **هَادٍ** إليهِ الجيشَ **أهدَى** و ما هَدَى

وَ مُسْتَكْبِرٍ لَمْ يَعرِفِ اللهَ سَاعَةً ... رَأى سَيفَهُ في كَفِّهِ فتَشَهّدَا

تظلُّ ملوكُ الأرضِ خاشعةً لَهُ ... تُفارِقُهُ هَلْكى و تَلقاهُ سُجَّدَا

وَصُولٌ إلَى **المُستَصعباتِ** بخيلِهِ ... فلَوْ كانَ قَرنُ الشمسِ ماءً لأوردَا

لِذَلِكَ سَمَّى ابنُ الدُّمستُقِ يَومَهُ ... مَمَاتًا وَ سمّاهُ الدُّمستقُ مَوْلِدَا

سرَيتَ إلَى **جَيْحانَ** مِنْ أرضِ **آمِدٍ** ... ثَلاثًا لَقد أدناكَ رَكْضٌ وَ أبْعَدَا

فوَلّى وَ أعطاكَ ابنَهُ وَ جُيُوشَهُ ... جميعًا وَ لَمْ يُعطِ الجَميعَ ليُحْمَدَا

عَرَضتَ لَهُ دونَ الحياةِ وَ **طَرفِهِ** ... و أبْصَرَ سيفَ اللهِ منكَ مُجرّدَا

وَما طَلَبتْ زُرْقُ **الأسنّةِ** غيرَهُ ... وَ لَكنْ قُسطنطينُ كانَ لَهُ الفِدَا

فأصبَحَ **يَجتابُ المُسوحَ** مَخافَةً ... وَ قَدْ كَانَ يَجتَابُ **الدِّلاصَ المُسرَّدَا**

وَيَمشي بِهِ العكّازُ في **الدَّيْرِ** ثانيًا ... وَ ما كانَ يَرضَى مَشْيَ **أشقَرَ أجْرَدَا**

الديوان:شرح البرقوقي.الجزء2 ص3 - 15

الشرح : الإرجاف الأخبار الكاذبة و الإشاعات/هاد من الهداية/أهدى من الهديّة/المستصعبات الغايات البعيدة/جيحان نهر ببلاد الروم/آمد بلد بالثغور الشامية الشمالية/عرضت اعترضت/الطرف العين/الأسنّة نصال الرماح/المسوح ثياب تنسج من الشعر/الدلاص المسرّد الدرع البراقة حسنة النظم و النسج/ /يجتاب يقطعها و يدخل فيها / الدير مبنى العبادة/ أشقر أسرع الخيل/أجرد جواد قصير الشعر

الأسئلة:

-ادرس الفنيات الّتي توسّلها الشاعر لتشكيل صورة الممدوح مبرزا القيم الحماسية

-ادرس صورة العدو كاشفا دورها في تكثيف معاني الحماسة

هل ترى سيف الدولة بطلًا ملحميًا ؟ -

الأستاذ شمس الدين عُمري

ما قبل قراءة النص:

إنّ العمليّة الأولى الّتي تسبق قراءة النصّ موضوع الدرس هي قراءة الجهاز البيداغوجيّ(الأسئل التوجيهيّة) و من ثمّ تحديد ما يتعلّق منها بالفنيات و المضامين و التقويم ذلك أنّ إلقاء نظرة ثاقبة على كلّ سؤال من شأنه أن يُيسّر للمُمتَحَن فهم النصّ و الاهتداء إلى الإشكاليات الكبرى .

تطبيق:

التعليمة : ادرس الفنيات الّتي توسّلها الشاعر لتشكيل صورة الممدوح مبرزا القيم الحماسيّة : تنقسم هذه التعليمة إلى جانبين فنيّ (الفنيات) و مضموني (صورة الممدوح و القيم الحماسيّة)

التعليمة : ادرس صورة العدوّ كاشفا دورها في تكثيف المعاني الحماسيّة : تنقسم التعليمة إلى ماهو فنّي (دراسة صورة العدوّ في جزء منها فنية) و ماهو مضمونيّ (صورة العدوّ و دورها في إذكاء الحماسة في النصّ)

التعليمة : هل ترى سيف الدولة بطلا ملحميّا ؟ : هذه الإشكاليّة يمكن اعتمادها في التقويم بالبحث عن تجليات الملحمة في النصّ أسلوبًا و معنًى و حدود الإقرار بهذا الأمر

- ✔ منذ الوهلة الأولى نتبيّن أنّ المحاور الكبرى الّتي يهتمّ بها النصّ : صورة الممدوح البطل الملحميّ/صورة العدو/مواجهة حربيّة/ القيم و المعاني الحماسيّة/ فنيات القول بمعنى آخر : توسّل الشاعر جملة من الفنيات للإحاطة بصورة الممدوح و صورة العدوّ و في تقاطع الصورتين تتجلّى الملحمة و تبرز القيم و المعاني الحماسية

قراءة النصّ : المهمّة الثانية هي قراءة النصّ أكثر من مرّة مستأنسين في ذلك بالمفردات المشروحة أسفل النصّ و من ثمّ استنباط معيار منطقيّ للتفكيك :

تطبيق :

هذا النصّ قابل للتجزئة وفق أكثر من معيار :

المعيار الأول : الإجمال و التفصيل : الإجمال (بطولات سيف الدولة في سياق عام)/(تفصيل لبطولة بعينها و هي انتصاره على الدمستق)

المعيار الثاني : الحجاج : الأطروحة (الإقرار بالبطولة الحربيّة لسيف الدولة) و الاستدلال على وجاهة الأطروحة (ضرب مثال حقيقيّ الانتصار الساحق لسيف الدولة على حساب الروم)

المعيار الثالث : الصورة الشعريّة : صورة سيف الدولة في سياق عام / صورة سيف الدولة الممدوح و صورة العدو المهجوّ

المعيار الرابع :الضمائر : غلبة ضمير "هو" / ضمير"أنتَ" و ضمير"هو"

المعيار الخامس : معيار الزمان : مطلق الزمان (بطولات الممدوح) / بطولة الممدوح في زمان خاص (مواجهة الدمستق)

المعيار السادس :أنماط الخطاب : غلبة الوصف / غلبة السرد

المعيار السابع : السبب و النتيجة : السبب (بطولات الممدوح وكفاءته الحربيّة) / النتيجة (انتصاره على الدمستق)

.....

ما بعد القراءة و التفكيك : المهمّة الثالثة هي التخطيط للتحليل و التقويم و ذلك باستخراج أهمّ الفنيات الّتي توسّلها الشاعر و المضامين الّتي كشفها و المقاصد الّتي يروم تبليغها

تطبيق :

الوحدة الأولى : غلبة الوصف

- الحكمة (صدر البيت الأوّل): صيغت بجملة اسميّة قائمة على التقديم و التأخير" لكلّ امرئ من دهره ما تعوّدا" / المركّب الإضافيّ " كلّ امرئ" : الشمول و الإطلاقيّة , عدم التقيّد بزمان ,تجاوز الاستهلال الطللي القديم ...
- تطبيق الحكمة : (عجز البيت الأوّل و الأبيات 2+3+4+5+6) و يمكن دراسة هذا التطبيق في جملة من المستويات :

✔ صوتًا : الجناس الناقص "عادات,العدا,أسعدا" و "هاد,أهدى" / التكرار"ضرّه,ضرّ"/ ترديد صوت الدال... : فعل الأعداء و ردّ الفعل من الممدوح : مواجهتهم بأكثر ممّا توقّعوه....

✔ أسلوبًا : تواتر المركّبات العطفيّة "و أن يكذب الإرجاف.../و يمسي .../و هاد ... / و مستكبر...النفي "لم يعرف"/ الإثبات" رأى سيفه..."... : تحديد خصوم الممدوح ... الكثرة مقابل الفرد الواحد, خضوعهم له ...

✔ اشتقاقًا : تنويع الصيغ الصرفيّة : المصدر"الإرجاف"/أسماء الفاعلين"مريد,مستكبر" /الصفة المشبّهة " ملوك" : تحديد أصناف أعداء الممدوح , تعيين سبب النيل منهم فهي أسباب ذاتية و أخرى جماعيّة و أخرى دينيّة ....

✔ معجمًا : التكامل بين معاجم ثلاثة : معجم الأعداء " العدا,ضرّه" و معجم الحرب من عدّة و عدد " سيفه,الجيش,خيله" و المعجم الديني "خاشعة,الله,تشهّدا,سجّدا" : مواجهة أعداء الممدوح و أعداء الله بالفعل الحربيّ , نصرة الدين ...

✔ الصورة : الطباق "تفارقه,تلقاه" / المبالغة بالصيغة "وصول" و بالتركيب " لو كان قرن الشمس ماء لأوردا" : تضخيم إنجازات سيف الدولة و الإقرار بقدرته اللامتناهية ...

- نتيجة الحكمة : صيغت بجملتين فعليّتين " لذلك سمّى ابن الدمستق يومه مماتا و سمّاه الدمستق مولدا " / الترديد " سمّى, سمّاه / الطباق "مماتا , مولدا" : تأليه الممدوح , الطعن في أحد أخطر الأعداء الدمستق و ابنه بالأسر أو بالفرار , السخرية و التهكّم ...

الوحدة الثانية : غلبة السرد

- **صورة سيف الدولة**

✔ أسلوبًا : مقوّمات القصّ : المكان"جيحان, أرض آمد " الزمان "ثلاثا" ، الشخوص " ضمير أنت" العائد على سيف الدولة / تقنية القصّ السرد " سريت ، عرضت، ما طلبت" / الحصر "ما طلبت زرق الأسنّة غيره" :حركة إلى الأمام , توثيق المعركة ،إقدام الممدوح، رحلة البطل المحارب ...

✔ المعجم : المعجم الحربي "زرق الأسنّة" : تمرّس البطل بالحروب ...

✔ الصورة : المبالغة / الطباق " أدناك,أبعدا" : سرعة خيل الممدوح ، رحلة المجد ...

- **صورة العدو :**

✔ صوتًا: التكرار"جميعا,الجميع" / الترديد" يجتاب,يجتاب" : خضوع العدو و استسلامه و تغيّر مظهره بفعل الحرب ...

✔ أسلوبا : تقنية القصّ السرد"فولّى,أعطاك,يمشي،أبصر" و مقوّم القص الشخصان "الدمستق و قسطنطين" : حركة إلى الخلف , سكون , خضوع ...

✔ الصورة : المقابلة الثنائيّة "أصبح يجتاب المسوح,كان يجتاب الدلاص المسرّدا" / التشبيه" مشي أشقر أجردا" : صاغر , ذليل , مقابلة بين ما قبل المواجهة و ما بعدها ...

✔ المعجم : معجم الخضوع "مخافة،تائبا " : مشاعر العدوّ الخوف و الرعب و الخضوع لسطوة الممدوح ...

التقويم :

القدرة الفنية ، التخلي عن البناء القديم ، تجليات الملحمة (القصّ ، الفرد في مواجهة الجماعة ، الخوارق , حماية الأمّة) و حدودها (زمن البطولة قصير مقارنة بالملحمة)/تغييب دور الجماعة ...

التحرير المسترسل :

انخرط شعراء الحماسة في تصوير الحروب الخارجيّة الّتي خاضها العرب في القرون الهجريّة الأولى ضدّ الروم , و في هذا السياق تتنزّل هذه الدالية المنظومة على الطويل و المقتطفة ممّا بين الصفحتين الثالثة و الخامسة عشر من الجزء الثاني من الديوان الّذي شرحه البرقوقي لصاحبها المتنبّي و هو شاعر أقام عند سيف الدولة لفترة قبل أن يفارقه هجاءً و لومًا , و مناسبة هذا القول الشعريّ المعركة الّتي دارت بين سيف الدولة و الدمستق أواسط القرن الرابع للهجرة لذلك تغنّى المتنبّي ببطولات سيف الدولة الحربيّة و تنكيله بعدوّه الدمستق و ابنه في نبرة حماسيّة انفعاليّة .

فكيف أخرج المتنبّي صورة الممدوح و صورة العدوّ؟

و ماهي تجلّيات الحماسة معنى و قيمةً في هذا النصّ؟

و إلى أيّ مدى يجوز لنا اعتبار سيف الدولة بطلًا ملحميًا ؟

إثر قراءة متبصّرة لهذه اللوحة الشعريّة اهتدينا إلى تقسيمها وفق معيار أنماط الخطاب إلى وحدتين : أمّا الوحدة الأولى القائمة على الوصف فتمتدّ من البيت الأوّل إلى البيت السابع و فحواها إبراز تفوّق الممدوح على سائر أعدائه باختلاف أصنافهم . أمّا الوحدة الثانية القائمة على السرد فتشمل بقيّة القصيدة و تدور معانيها حول مدح سيف الدولة و هجاء الدمستق .

إنّ مقلّب النظر بصريًا في هذا النصّ و متذوّقه سماعيًا و الباحث عن استجلاء المعاني من النقرات العروضيّة يتجلّى له أنّ الشاعر قد التزم بعمود الشعر الّذي حدّدته أركان أوّلها بحر الطويل و هو بحر قويّ و شديد يمتاز بطول النفس و ارتبط بالمعاني الجادّة الحماسيّة منها خاصّة ، و ثانيها الروي حرف الدال الوارد في مقطع طويل (_) ممتدّ " دَا " و هو حرف مجهور شديد ، و ثالثها القافية الموحّدة (مقطعان طويلان و بينهما مقطع قصير _ v _ "في العدا،أسْعَدَا،ما هدى،شهّدَا ..." و رابعها التصريع الظاهر في البيت الأوّل " تعوّدا،العدا" .

و هكذا تبرز أهميّة الإيقاع فقد اضطلع بتأدية جملة من الوظائف يمكن أن نوجزها في خمس وظائف: الوظيفة الصوتيّة بشدّ الأسماع و إضفاء نغميّة على النصّ و الوظيفة المرجعيّة بوفاء الشاعر لسنن الأوّلين و الوظيفة النفسيّة بكشف انفعالات الشاعر و الوظيفة الذاتية المتمثّلة في إقرار المتنبّي ضمنيًا باقتداره على نظم الشعر الجيّد و الوظيفة الدلاليّة بتكثيف المعاني و إذكائها فشدّة الإيقاع و قوّته و امتداد المقاطع دلائل على شدّة الممدوح و بأسه و امتداد شمائله . غير أنّ هذا الإيقاع الخارجيّ يظلّ ناقصا إذا لم تعاضده دعائمُ أخرى و هو أمر سنفسّره لاحقا أثناء تحليل النصّ وحدة وحدة .

في دراستنا للوحدة الأولى تخيّرنا الاهتمام بثلاثة محاور كبرى الحكمة و تطبيقها أو إثباتها و نتيجة العمل بها . أمّا الحكمة فقد شملت صدر البيت الأوّل " لكلّ امرئ من دهره ما تعوّدا " و قد صيغت في جملة اسميّة تقدّم خبرها " لكلّ امرئ " على مبتدئها " ما تعوّدا" , و نلاحظ أنّ هذه الحكمة ذات طابع شموليّ تبيّناه من المركّب الإضافيّ " كلّ امرئ" فصاحب النصّ لم يخصّ بالقول فردًا بعينه بل أراد أن تكون وجهة الكلام في المطلق ، و في مقابل ذلك حدّد الهدف ألا و هو الإنسان العاقل . و فحوى هذه الحكمة أنّ أيّ فرد من بني الإنسان قد دأب على فعل أمر مّا أو اتّصف بصفات مّا أو انتهج سلوكًا ما يصبح ذلك كلّه مذهبه يوسمُ به بل يعرّفُه و يحدّد ماهيته ، و قد قالت العرب من شبّ على شيء شاب عليه ، سواء أكان ذلك خيرًا أم شرًّا . و بهذا الافتتاح يصدح المتنبّي بصوت التمرّد ذلك أنّه قد تجاوز البناء التقليديّ للمدحيّة فقوّض الوقفة الطلليّة الّتي تنشدّ انشدادًا كلّيا إلى البكاء و العويل و ما يرافقهما من ضعف و انكسار و استجداء للممدوح ، و أسّس للحكمة الّتي تنمّ عن ذات قويّة ثائرة ثورة البحر و هيجانه , هي ذات خبرت الحياة في تلوّنها و تقلّبها فلا ينطقُ بالحكمة إلّا من تمرّس بالآفات الّتي ماتت و درسَت و ما مات الشاعر المتنبّي الّذي أسّس لعلاقة جديدة تجمع المادح بالممدوح هي بالضبط علاقة تكامل قوّة الثقافة و الأدب و الحنكة في مقابل قوّة الجاه و القدرة الحربيّة لذلك سينصرف المتنبّي إلى إثبات الحكمة بتعديد صفات سيف الدولة في عجز البيت الأوّل و في الأبيات الثاني و الثالث و الرابع و الخامس و السادس متوسّلا فنّيات متنوّعة . ففي المستوى الصوتيّ عمد الشاعر إلى توظيف الجناس الناقص " عادات،العدا،أسعدا" " هادٍ،أهدى" و التكرار "ضرّه ،ضرّ" و ترديد صوت الدال " العدا،أسعدا،عادات،أهدى،هادٍ،هدى" ، لقد اجتمعت هذه الظواهر الصوتيّة لتؤدّي وظيفة معنويّة برسم [illegible] بين الأعداء الّذين يريدون إلحاق الضرر بالممدوح و ساقوا نحوه جيشا عرمرم و بين سيف الدولة

الّذي ردّ الفعل بالنيل من جيش العدوّ فكأنّ العدوّ قد أعطى أغلى ما يملك قسرًا و مرغما و المقصود من ذلك أنّ الممدوح يتحلّى بصفات القوّة و القدرة على الردّ على أعدائه بل يفرح و يسعد لقدوم العدوّ لأنّه سينال من جيشه و أمواله غنيمةً حربيّةً . و أسلوبًا ننوّه إلى تواتر المركّب العطفيّ "و أن يكذب الإرجاف عنه بضدّه ، و يمسي بما تنوي أعاديه أسعدا ، و هادٍ إليه الجيش ..." و الاشتقاق باشتقاق صيغ صرفيّة كالمصدر"الإرجاف" و اسمي الفاعلين" مريد،مستكبر" و الصفة المشبّهة"ملوك" و دلالة ذلك التعديد فالمتنبّي يعدّد خصوم سيف الدولة . إنّنا إزاء فردٍ يواجه خصوما كثيرين و هم أولئك الّذين ينشرون الإشاعات و الأخبار الكاذبة طاعنين في شخص سيف الدولة ذاهبين إلى اعتباره ضعيفا مقلّلين من شأنه فيواجههم بالهدى و كلمة الحقّ ، و المشركون الّذين لا يؤمنون بوجود الله و يسعون إلى إشاعة الفساد و الفاحشة في صفوف العباد، و الملوك المتفاخرون بما يملكون و ما يأكلون حتّى استكرشوا و ظلموا أنفسهم و الناس . و هكذا يتجلّى البطل الملحميّ فسيف الدولة واحدٌ يقاتل كثرةً على جبهات مختلفة من أجل الدفاع عن غاية نبيلة هي حماية المسلمين و الذود عن حرماتهم . و في المستوى المعجميّ إضافة إلى سهولة الألفاظ أمكن لنا أن نلمس تداخلا بين المعاجم معجم الأعداء"العدا،ضرّ" و معجم الدين " خاشعا،الله،سجّدا،تشهّدا" و معجم الحرب عدّة و عددا" سيفه،الجيش،خيله" و معجم الأعلام"ابن الدمستق،الدمستق" و دلالة هذا التنوّع و الثراء أنّ الممدوح يواجه أعداءه من أجل نصرة دين الله و ما يحمله من قيم نبيلة لا بالكلام أو حتّى بالأمل بل بالفعل الحربيّ فسيفه ناحر و واضعٌ حدًّا لكلّ عدوّ فالقيمة الحماسيّة نصرة الدين تحتاج بأسًا و قوّةً و شجاعةً و مواجهةً لذلك يضع سيف الدولة حدّا للشرك قبل أن يضع الشرك حدّا للإسلام و يجعل الاعتقاد فيه و العمل به يفتر و يتضاءل ...

و لمّا كانت قدرات سيف الدولة خارقة أراد سيف الدولة للغة أن تسايره في هذا الاختيار فجاءت الصورة الشعريّة قائمة على المبالغة و المجاز و يظهر ذلك في جمع المتنبّي صيغة المبالغة"وصول" إلى المركّب الشرطيّ في معنى الامتناع "لو كان قرن الشمس ماء لأوردا" ليكشف أنّ الممدوح لا يُعيقه أمرٌ في حياته فإذا احتدمت رغبته في الحصول على الماء و كان هذا الماء في نقطة بعيدة كالشمس لتحققت رغبته بمعنى أنّ الممدوح مثابرٌ و مجتهدٌ في تحصيل الغايات و الآمال خاصّة البعيدة منها فكفاءة الإنسان لا نتبيّنها من الظفر بما هو جاهز أو ما دنا من العين بل بما هو بعيد و مستعص .المتنبّي إذن يتغنّى بسيف الدولة في معنى أساسيّ هو علوّ الهمّة و سموّها عمّا هو عاديّ مُستهلَكٌ .

و تنطلق هذه الوحدة الأولى برابط منطقيّ في معنى النتيجة " لذلك" تضافر معه الترديد"سمّى،سماء" و الطباق" مماتا ، مولدا" ليبيّن المتنبّي أنّ نتيجة اعتياد سيف الدولة على القوّة و حنكته في مواجهة الأعداء نيله من الدمستق و ابنه فالدمستق فرّ و نجا بنفسه فاعتبر ذلك فوزًا عظيمًا و مولدًا و بعثًا جديدا للحياة أمّا ابنه فأُسِرَ فكان ذلك بمثابة الموت . على هذا النحو يؤلّه أبو الطيب سيف الدولة فهو القادر على أن يهدي الناس الحياة أو الموت و هي صورة تقويّ في الممدوح صفة البطل الملحميّ الرمز النموذج الّذي يجب الاقتداء به في سكناته و حركاته و أحلامه و الخضوع له خضوعًا إمّا طوعًا و إمّا إكراهًا .

نستنتج ممّا تقدّم توسّل المتنبّي أغلب ضروب اللغة و البلاغة صوتًا و أسلوبًا و اشتقاقا و معجما و صورا قامت على المبالغة ليخرج سيف الدولة في صورة البطل الملحميّ الجامع لصفات الشجاعة و

القوّة و علوّ الهمّة من أجل نصرة الدين و مواجهة الأعداء ، و أحد هؤلاء الأعداء الدمستق الّذي واجهه سيف الدولة في عقر الديار فكان لزاما على ابي الطيب أن يوثق هذه المعركة في بقية ابيات القصيدة .

في الوحدة الثانية يضرب لنا المتنبّي مثالا واقعيّا حيّا يبرز قوّة الممدوح من خلال وقعته بالدمستق و ابنه ، و على هذا الأساس نميّز بين صورتين صورة سيف الدولة و صورة الدمستق و ابنه . لقد حشدَ مُنشد النصّ جملة من الوسائل الفنية للإحاطة بصورة ممدوحه ، فمن حيث الأسلوب استدعى القصّ بأفانينه فنجد حضورًا لمقوّماته كالمكان فحدّد مكان الانطلاق "أرض آمد" موطن سيف الدولة و مكان النهاية "جيحان" و الزمان "ثلاثًا" ليكشف المتنبّي قدرة سيف الدولة على الذهاب إلى أعدائه للنيل منهم في مكان إقامتهم ، و هذه الرحلة البطوليّة حدثت في الليل دلالةً على شجاعة الممدوح و فروسيته و معرفته طريق الذهاب و طريق العودة إلى الديار سالمًا غانمًا . و قد تدعّمت مقوّمات القصّ بتقنية السرد البارز في توظيف الأفعال "سريت،عرضت،طلبت" و هي أفعال حركيّة تنمّ عن حركة الممدوح و تقدّمه فهو بطل مقدام لا يعرف للتراجع أو التردّد أو الخوف طريقا فمتى صمّم على الفعل أعقبه بالإنجاز . و إلى جانب القصّ نلمح استعمال المعجم الحربيّ " زرق الأسنّة" الوارد في صيغة الجمع فالأسنّة جمع سنان دلالة على كثرة العدّة الحربيّة و يُستفادُ من ذلك حسن استعداد سيف الدولة للمعركة و تأهّبه لها بما يتناسب و صفات القيادة . و من حيث الصورة شكّل المتنبّي صورة قائمة على المبالغة متوسّلا لها الطباق " أدناك،أبعدا" ليوضّح أنّ الممدوح استغرق وقتًا وجيزًا للوصول إلى مكان عدوّه و الحال أنّ المسافة بينهما ليست بالقريبة ، و يُفهَمُ من هذه المبالغة أنّ الممدوح يمتطي خيلًا حثيثة السير قويّة فكأنّها تسارع إلى تحقيق المجد كفارسها ما يدلّ على فروسيّته و قوّته و تدريبه لخيله على خوض المعارك ، و قد يُفهَمُ أيضًا أنّ الممدوح هو كائن لا ينتمي إلى عالم البشر إلّا في النسل أمّا قدراته فهي خارقة هو أشبه بكائن نوراني لا يعترف لا بقيود الزمان و لا بقيود المكان ، و بهذه الطريقة يؤسطر الشاعر الممدوح الّذي يستحيل كائنا من ورق يخلقه الشاعر في فضاء النصّ و ينشر فضائله ، هي فضائل تبلغ مداها إذا ما قارناها بغيرها من الصور فنرحل مع المتنبّي من فضاء يشعّ نورا إلى فضاء له من السواد نصيب وافر نعني الفضاء الخاصّ بصورة العدوّ .

لرسم صورة العدوّ في المستوى الصوتيّ استنجد أبو الطيب بالتكرار "جميعًا،الجميع" و الترديد "يجتابُ،يجتابُ" ليؤكّد أنّ العدوّ قد خضع لسطوة الممدوح أثناء المعركة فمكّنه من جيشه و ابنه لا بنيّة العطاء الّذي يستوجبُ الشكر و إنّما بنيّة النجاة بنفسه بمعنى أنّ هزيمة العدوّ كانت بسبب ضعف القائد الّذي لم يحسن التخطيط للحرب فهو قائد فاقدٌ للكفاءة الحربيّة ما أدّى به إلى الخروج من ساحة المعركة هاربًا في ثياب رثّة و قد كان في السابق أي قبل هجمة السيف يتزيّن بلباس فاخر . و هكذا تتجلّى سخرية المتنبّي من العدوّ و تهكّمه عليه بل تقزيمه و هو معنى تدعّم في الصورة القائمة على الطباق"كان،أصبح" ذلك أنّ العدوّ لم يخرج من ساحة الوغى بنفس المظهر الّذي كان عليه دلالة عللى انهزامه شرّ هزيمة . إضافة إلى الطباق استعمل الطائرُ المحكيّ التشبيه "مشي أشقر أجردًا" و طرفا هذا التشبيه المشبّه الدمستق و المشبّه به الجواد و وجه الشبه بينهما السرعة فالدمستق خرج من ساحة الحرب مسرعا دلالة على جبنه و خوفه من سيف الدولة و تجرّدة من أيّ قيمة إنسانيّة و اتصافه بالأنانية على عكس سيف الدولة المضحّي في سبيل الجماعة، كيف لا و الدمستق الأب يترك ابنه أسيرًا في قبضة الأخر . و هكذا تتجلّى رحلة الفارّ من الحرب لتبلغ القصيدة مبلغا من الطرافة بتقويتها

للمعاني الحماسيّة . إنّ رحلة الفارّ من الحرب جسّدها الأسلوب أيضا بتوسّل أبي الطيب تقنية السرد "فولّى ،أعطاك،يمشي،أبصر" فلئن دلّت الأفعال المنسوبة إلى سيف الدولة على الحركة فإنّ الأفعال المنسوبة إلى العدوّ دلّت على الحركة إلى الوراء أو ما يصطلح عليه بنشر الصورة .فالدمستق صاغرٌ و ذليل و خاضع للممدوح فتتجلّى عظمة الممدوح بالحطّ من شأن عدوّه .

بناءً على ما سبق,وظّف الشاعر الأصوات و السرد و الطباق و التشبيه لينحت صورتين متقابلتين صورة سيف الدولة المنتصر و صورة العدوّ المنهزم ، و المغزى من ذلك تضخيم صورة البطل المحارب و النصر الّذي حقّقه و قدرته على بثّ الرعب و الخوف في نفوس الأعداء .

الرأي عندي ، إنّ حماسة هذا النصّ تجلّت في أكثر من مستوى : في مستوى البنية تجاوز المتنبّي الوقفة الطللية مستبدلا إياها بنفس حكميّ يستحسنه النقّاد و يعتبرونه من المطالع الجيّدة و في مستوى الهندسة الداخلية للنصّ نوّع المتنبّي الأصوات و التراكيب و المعاجم و الصور تنويعا وظيفيّا دون تكلّف و في مستوى المضامين نرى إشادة بمعان و قيم حماسيّة كالشجاعة و الفروسيّة و الإقدام و حسن التخطيط و علوّ الهمّة و التنكيل بالأعداء و أسرهم أبرزها الشاعرُ من خلال ملحمة تجلّت في صورة البطل المخترق لحدود الزمان و المكان من أجل الدفاع عن الأمّة رغم أنّنا نحترز نسبيّا على القول إنّ البطل ملحميّ فالملحمة هي بطولة طويلة زمنًا يواجه فيها البطل أعداء ذوي قدرات خارقة و المتأمّل في بطولة سيف الدولة يتبيّن له أنّها بطولة محدودة زمنا إضافة إلى أنّ العدو متراجع حتى قبل أن تبدأ المعركة لذلك عدل المتنبّي عن تصوير الواقعة الحربيّة الحقيقيّة و ما تستوجبه من إراقة الدماء مكتفيا بالحديث عن الاتّجاه نحو المعركة و مآلها و هو أمر يقلّل نسبيّا من معنى الحماسة في النصّ .

في الجملة أثّث أبو الطيّب نصّه بأساليب صوتيّة و تعبيريّة و تصويريّة ليتدرّج من وصف قوة الممدوح و بطشه و نيله من الأعداء في سياق عامّ إلى التغنّي به في سياق خاصّ هو سياق النصر الّذي حقّقه على حساب الدمستق و ابنه معليا من معان و قيم حماسيّة فأفرز هذا البناء تقابلا تجلّت من خلاله صورة البطل الملحميّ رغم تغافل المتنبّي عن الإتيان ببعض عناصرها .

خلاصة القول ، اجتمعت في النصّ الوظيفة الإنشائيّة الجماليّة و الوظيفة التعبيريّة و الوظيفة التّاريخيّة ليبرز المتنبّي تفوّق ممدوحه على سائر أعدائه خاصّة الدمستق ليخرج البطل في ثوب حامل لواء القيم الحربيّة لكنّ البطولة المنسوبة إليه لوحده هي بطولة تشوبها المبالغة و الزيف لأنّها غيّبت دور المجموعة . فيجوز لنا أن نتساءل : إلى أي مدى يمكن التسليم بصدق ما نُسِبَ إلى الممدوح من بطولات ؟